محاضرات في تاريخ لغة العرب

٦

هل يجب الحاق المعرب بأوزان الكلم العربية

ذهب بعض اللغويين الى أنه يجب إلحاق المعرب بأوزان كلام العرب . قال الجربري : من مذهب العرب أنهم إذا عربوا الاسم الأعجمي يردونه الى ما يستعمل من نظائره في لغتهم وزناً وصيغة ، وقد كرر هذا الرأي في غير ما موضع من كتابه « درة الغوّاص في أوهام الخواص » ، منها ما جاء في الصفحة ٦١ من طبعة الجوائب في بحث دستور ، وفي الصفحة ٨٠ في بحث الشطرنج ، وقد أنكر عليه شراح كلامه هذا الرأي وعدوه من أوهامه .

والذي عليه جمهور علماء العربية أنه لا يجب في المعرب أن يردّ الى أوزان كلام العرب ، وقد حكاه في كتاب سيبويه أن الاسم المعرب من كلام العجم ربما ألحقوه بأبنية كلامهم وربما لم يلحقوه ، فما ألحقوه بأبنيتهم : درهم وبرج ، ومما لم يلحقوه الافرند والآجر الى آخر ما فصله ، وقد أوضح هذه الناحية أبو منصور الجواليقي في كتاب المعرب ، وابن السيد البطليوسي في كتاب : (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) في باب ما ينقص منه ويزاد فيه ويبدل بعض حروفه في الصفحة ٢١٥ من طبعة بيروت سنة ١٩٠١ .

وبالجملة فإن الجمهور من اهل العربية لا يشترطون رد المعربات الى أبنية اللغة العربية ولكنهم يستحسنون ذلك اذا جاء بسهولة لتكون المعربات المقحمة على العربية شبيهة بأوزانها ، ولذلك استعملوا نيروز أكثر من نوروز ، لأن نيروز أدخل في كلامهم وأشبه به ، لأنه كقيصوم وعيثوم ، وبهذا تعلم سخف ما يذهب اليه بعض المعاصرين المتشددين من وجوب إلحاق المعربات بأوزان العرب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تنبيه :=

أول من حاول استيعاب ابنية الأسماء والافعال في اللغة العربية سيبويه : فاحصى للاسماء ٣٠٨ من الامثلة ثم جاء ابن السراج فذكر منها ما ذكره سيبويه وزاد عليه ٢٢ مثالا وزاد أبو عمر الجرمي أمثلة يسيرة وكذلك فعل ابن خالويه . فقرى أبو القاسم علي ابن جعفر السعدي اللغوي المعروف بابن القطاع ابنية الاسماء العربية وبذل جهده في الاستقصاء فاستوى لديه ١٢١٠ من الامثال في هذا الباب ، فلا يجوز لاحد أن يقضي بخروج بناء ما عن أبنية اللغة العربية ما لم يستقص هذه الامثلة ويقتلها معرفة وضبطا .

تصريف العرب

ينقسم العرب إلى قسمين : الأول الاعلام والثاني اسماء الاجناس .

فالأعلام الأعجمية المنقولة إلى العربية لا يبحث في العربية عن أصول اشتقاقها أو جمودها . وانما تستعمل أعلاماً في العربية كما كانت أعلاماً في العجمية ، ولا يدخلها من التصريف الا أحكام مخصوصة من جمع وتصغير ونحوهما .

فلا يجوز بعد هذا إن يقال أن ابليس — مثلا — مأخوذ من الابلاس بمعنى اليأس والانكسار ، واسحق من اسحقه الله اذا أبعده لان إبليس واسحاق علمان اعجميان ولا يعقل أن يشتق الاسم الاعجمي من لفظ عربي .

نعم يجوز أن يؤخذ من بعض الاعلام بعض التصاريف مثل اعرق اذا صار الى العراق — على القول بان العراق اعجمي — ودولب اذا قصد دولاب وهي مدينة اعجمية ، ويقولون تبغدد اذا تشبه بالبغداديين ، ومن هذا يعلم أنه يجوز اشتقاق بعض الصيغ من بعض الاعلام الاعجمية المنقولة الى العربية ولا يجوز قطعا أن يزعم زاعم اشتقاق علم اعجمي من لفظ عربي ، ولا يغرنك ما تراه مبثوثا في معاجم اللغة من هذا القبيل لانه صادر عن ذهول في الغالب .

وأما الضرب الثاني : وهو اسماء الاجناس المعربة فلا ينبغي أن يبحث في العربية عن اشتقاقه ، لان هذا الاشتقاق إما أن يكون من أصل أعجمي لا شأن للعربية فيه ، فيكون البحث عنه من قبيل الخلط الذي قد يؤدي الى التخليط ، وإما أن يكون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاشتقاق من لفظ عربي ، وهو محال ؛ إذ لا يعقل أن يشتق الأعجمي من العربي كما لا يعقل العكس ، وإنما تشتق الألفاظ بعضها من بعض في اللغة الواحدة لأن الاشتقاق نتاج وتوليد ، ولا يعقل أن يتولد الشيء من غير نوعه ، قال بعضهم في هذا الشأن : ومن المحال أن تنتج النوق إلا حوراناً ، وتلد المرأة إلا إنساناً ، ومن اشتق الأعجمي المعرب من العربي كان كمن ادعى أن الطير من الحوت ، وما ورد في كتب اللغة مما يخالفه هذا الأصل فهو تخليط لا يعبأ به ولا يجوز أن يصار إليه .

هذا هو الرأي في اشتقاق الاسم الاعجمي المعرب من غيره ، وأما الاشتقاق من اسم الجنس الاعجمي المعرب ، فمعروف في العربية شائع فيها ، والعرب كثيراً ما تجري على هذا الضرب من المعربات الأحكام الجارية على العربي الصميم ؛ ألا تراهم تصرفوا في اللجام ، وهو معرب تصرفهم في لفظ عربي أصيل : فقالوا الجم يلجم الجاما ورجل ملجم وفرس ملجم ، وقالوا تلجم يتلجم تلجما ، كما تصرفوا في الديوان وهو دخيل فقالوا دوّن يدون تدوينا ، والرجل مدوّن والعلم مدوّن ، وقالوا بهرجه اذا أبطله واصله من قولهم درهم بهرج أي رديء ، وهو معرب نبهره ويراد به الزغل والباطل ، والخلاصة : أنه لا يجوز بوجه من الوجوه أن يكون الاسم الاعجمي المعرب مشتقا من لفظ عربي سواء كان الاسم الاعجمي علماً في اللغة الاعجمية أو نكرة ، أما الاشتقاق من الاسم الاعجمي المعرب فيكثر في النكرات ويندر في الاعلام ؛ فاذا سمى بعض العرب ابنه قابوس تعريب كاووس أو ابنته شيرن ، فلا يبحث عن كون هذين المعلمين مشتقين أو أنهما أصل يشتق منهما ، وعربوا زيوه — مثلا — فقالوا زئبق ، ولم يسألوا هل هو مشتق ومن أين هو مشتق ؟ ولكنهم تصرفوا به واشتقوا منه فقالوا : زأبق الدرهم ودرهم مزأبق إذا كان مطليا بالزئبق ، وقالوا فيه الزوق والزاووق وقالوا تزوق تزويقا اذا تزين وتحسن ووجه مزوق بمعنى مزين ، وتحرفه العامة اليوم فتقول (مزروق) .

وعلى هذا الاصل مشى اسلافنا في تصريف كثير من اسماء الاجناس المعربة : فقالوا فلسفة وتفلسف ورجل متفلسف ، وقالوا قرطس من القرطاس (وهو أعجمي معرب) ومعنى قرطس أصاب القرطاس وهو الهدف ، لانه يكون من القرطاس في الغالب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وإذا علمنا أن (الكهربا) معرب (كاه ربا) بالفارسية ، ومعناه فيها جاذب التبن يريدون به المادة التي يعمل منها هـذا الخرز الاصفر المعروف اليوم باسم (الكهرب) لذا علمنا واطلقنا اليوم هذه اللفظة على القوة المخصوصة جاز أن نتصرف بها فنقول تكهرب الجسم وجسم متكهرب وقد كهربنا الصندوق وصندوق مكهرب ، وكذلك اذا قبلنا تعريب كلمة التلفون مثلا كان لنا على أسلوب الاسلاف أن نقول : تلفن فلان يتلفن ... الخ .

وفي هذا ما فيه من تذليل العقاب الماثلة أمام المترجمين والمؤلفين في العلوم الكونية المختلفة التي فاض فيض المصطلحات فيها وطغى تيارها ..

كيفية التعريب

قلنا إن التعريب هو نقل الكلمة من لغة اجنبية إلى اللغة العربية بتغيير أو بغيره ؛ ولكن الغالب فيه التغيير قليلا كان أو كثيرا ، وذلك أن يكون بالزيادة أو النقص أو الابدال ، وعلى كل اما يكون لازما أو غير لازم وهاك الامثلة على ذلك :

مثال التغيير اللازم بالزيادة (الدستجة) بمعنى الحزمة معرب (دسته) بدلت فيها الهاء جيما وزيدت التاء في آخرها للدلالة على الوحدة ، و (صك) معرب (چك) زادوا في آخره حرفا من جنسه وادغموه فيه لان الاصل في الاسم العربي الا يقل عن ثلاثة أحرف .

ومثال التغيير غير اللازم بالزيادة (سكر) زيدت فيه الكاف بعد السين وادغمت في الكاف بعدها ؛ ومثال التغيير اللازم بالنقص (رست) معرب (راست) بمعنى صحيح حذفت الالف دفعا لالتقاء الساكنين ، و (ابزن) مثلث الهمزة حوض يغتسل فيه ويتخذ من نحاس ليجلس فيه المرضى للتعريق ، وقد يتخذ من الخشب ، قال أبو دواد الايادي يصف فرسا منتفخ الجنبين : —

أجوف الجوف فهو منه هواء مثل ما جاف ابزنا نجارُ

أي مثلما وسع النجار جوف الابزن ، وهو معرب (آب زن) حذفت الفه دفعا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لالتقاء الساكنين ، ومثال النقص غير اللازم (سرداب) للبناء المعروف فانه معرب (سرد آب) بمعنى الماء البارد ، وسمي به البناء المعروف لانه كان يعد لتبريد الماء ، وقد حذفت الفه عند التعريب من غير لزوم . والنقص قد يكون في أول الكلمة مثل (بهرج) بمعنى الباطل والزغل ، وهو معرب (نبهره) حذفت منه النون .

وقد يكون في الوسط كما تقدم في كلمة سرادب ، وقد يكون في الاخر مثل كلمة (النشا) فانها معربة من كلمة (نشاسته) .

والنقص قد يكون بحرف واحد وقد يكون باكثر كما رأيته في الامثلة الآنفة

والابدال على قسمين : الاول ابدال حرف بآخر ، والثاني ابدال حركة أو سكون بغيرهما .

وابدال الحرف بغيره قد يكون لازما وقد يكون غير لازم : مثال الابدال اللازم (بد) بمعنى الصنم فانه معرب (بت) ابدلت الباء الفارسية المثلثة بالباء ابدالا لازما لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه وأبدلت التاء بالدال ابدالا غير لازم لقرب ما بين مخرجهما .

وبالجملة فانهم يبدلون الحروف التي ليست من حروفهم الى أقربها مخرجا في الغالب ، وربما أبعدوا في الابدال لاسباب قد تكون ظاهرة وقد تكون غامضة .

ومثال الابدال غير اللازم (برنامج) فانه معرب (برنامه) ابدلت فيها الهاء جيما .

ومثال ابدال حركة بحركة اخرى (سكر) معرب (شكر) كما ر إبدلت فتحته بالضمة .

ومثال ابدال حركة باخرى وسكون بحركة ، وحركة بسكون كلمة (سيبويه) فان العجم تنطقه سيبويه فابدلت العرب ضمة الباء بفتحة وسكون الواو بحركة (هي الفتحة ايضا) وابدلوا فتحة الياء الثانية بالسكون .

وربما دخل في الكلمة الواحدة انواع شتى من التغيير مثل كلمة (ترهة) فانها معربة من كلمة (دوررە) بمعنى الطريق البعيد فابدلت الدال بالتاء وحذفت الواو وجوبا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لالتقاء الساكنين، وادغمت الواو في الراء وحركت الهاء الساكنة بالفتحة وزيدت بعدها تاء للدلالة على الوحدة ، فأنت ترى أنه قد دخلها النقص والزيادة والابدال بأنواعه . ويقارب هذه كلمة (زئبق) تعريب (زيوه) فان الابدال لحق جميع حروفها والتغيير هو الغالب في التعريب . وأغلب ما يقع في الكلمات التي تبعد أوزانها عن الاوزان العربية أو تشتمل على حروف لا وجود لها بين الحروف العربية مثل (پ . چ . ژ . گ ڤ) فان الضرورة تقضي بابدال الحرف الاول بالفاء او الباء لان العجم تلفظه بين هذين الحرفين ، ولذلك قال العرب (فرند) و(برند) في تعريب كلمة (برند) الفارسية وفرند السيف وبرنده جوهره ووشيه) .

وكذلك تقضي الضرورة بابدال الحرف (چ) بحرف يقاربه من الحروف العربية، وقد اعتادوا أن يبدلوه بالصاد ويقولون (صك) في تعريب (چك) و (صين) في تعريب (چين) و (صفانه) في تعريب (چفانه) وهي من آلات اللهو ، وربما أبدلوه بالشين فقالوا(شاكري) في تعريب (چاكر) وهو الاجير المستخدم .

وربما أبدلوه بالجيم فقالوا (جوالق) في تعريب (چوالة) وهو العدل لان العجم تلفظه بين الشين والجيم ، والضرورة تقضي أيضاً بإبدال الحرف (ژ) بحرف من الحروف العربية يقاربه في المخرج . ولما كان العجم يلفظونه بين الزاي والجيم ابدلته العرب بالزاي فقالت (زئبق) في تعريب (ژبوه) و زون (في تعريب ژون) وهو الصنم .

وكذلك أبدلوا الحرف (گ) بالجيم لانه يلفظ بين الجيم والكاف فقالوا (جزاف) في (گزاف) و (جلنار) في (گلنار) وهو زهر الرمان (وجناح) في (گناه) وهو الذنب و (جوز) في (گوز) الثمر المعروف .

وأبدلوا الحرف الخامس من الحروف الخمسة المذكورة بالفاء أو الواو لانه ينطق بينهما .

فأنت ترى أن الاسلاف لم يدخروا الا للسليقة يستخفون ما تحكم بخفته ، ويستثقلون ما تحكم باستثقاله وحكم السلائق فوق تحكم القواعد الوضعية .

وصفوة القول : إن التعريب من عوامل نماء اللغة ، ووسائل غنائها وقد قدره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاسلاف حق قدره ، واستمدوا فيضاً من سببه ؛ ولكنهم جروا فيه على سنن الطبيعة ، وعلى سجية اللغة ، ولم يفزعوا اليه إلا عند الحاجة ؛ إلا أنهم لم يقيدوا الحاجة بالاغلال التي قيدها غلاة المحافظين من المعاصرين ، ولا تساهلوا فيها تساهل المتطرفين من المجددين ، فان الأولين لا يرون الحاجة ماسة إلا بعد أن ينفضوا المعاجم نفضاً ، ويطرقوا أبواب التصريف ، ويسبروا ألوان التعبير ، وتعييهم الحيل ، ثم لا ينزلون على حكم التعريب إلا مكرهين ، فيقولون — مثلا — الف الف ، والف الف الف ذراع فرنجية ولا يقولون (مليوناً أو مليار متر) ويقولون مصور جغرافي ، ولا يقولون (خارطة) ونسوا أن لفظة (جغرافية) معربة ، وأن أولينا عربوا (القرطاس) وهو أصل الخارطة في اللغة الاجنبية .

وأما الآخرون فانهم يميلون كل الميل في هذا الشأن ، ولا يبالون ان يصبح أمر اللغة فوضى ، ولو أنها شتى ، حتى تكون لا شرقية ولا غربية ، ولذلك تراهم يملؤون أفواههم ، ويلوون ألسنتهم بكلمات أعجمية ، مع أن ما يقابلها من العربية أقرب اليهم من أنوفهم .

وهؤلاء لاشأن لنا معهم لان جمهرتهم ممن لم يضرب في آداب العرب بسهم،ولا يصد في رأيه هذا عن تحقيق خليق بالاعتبار .

أما الاولون فيرون أن جمال اللغة و كمالها موقوفان على نقائها من دخيل الكلم،وفاتهم أن رأيهم هذا يؤدي إلى التقليل من عوامل نماء اللغة ووسائل غذائها ، فهم أشبه بمن يشير على كل إنسان يتحامى أكل اللحوم رغبة في الصحة ، ولم يدر أن هذا النوع من الحمية يؤدي الى الضوى،ولاسيما إذا كان المحتمي ممن اعتاد الاغتذاء باللحوم من قبل .

ومن الظلم بمكان أن نحمي على اللغة مراتعها ، ونذودها عن ينابيع ريها لئلا يمتزج بلحمها ودمها عنصر غريب ، ثم نريد منها بعد هذا الشح أن تحمل من العلوم وتعي من الفنون ما تنوء به اليوم أقوى اللغات بنية وأوسعها بسطة وأثراها مادة . لعمري حارت لغتنا بأمرها وأمرنا ، تمد يدها الى الاشتقاق ، فندفعها عن معظم وجوهه بحجة أنها سماعية، وتلتفت إلى جهات أخرى فنصدها عنها للحجة نفسها ، وتفزع إلى التعريب فتدفع في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صدرها لئلا تشقى بالدخيل ، أليس عملنا هذا يشبه عمل الفتاة الصينية التي تلبس قدميها نعلين من الحديد للاحتفاظ بجمال شكلهما ، والمحافظة على غضارتهما ونضارتهما ، ولكنهما بالأخير تضويان وتعجزان عن القيام بوظيفتهما .

فاذا كنا نريد من لغتنا أن تتسع لوعي ما يتطلبه العصر من علم وفن وتمشي مع الحضارة جنباً إلى جنب ، فعلينا أن نفتح أمامها مغاليق التقييد ، ونفك أغلال التقليد ، لكي يخصب مرتعها ويعود اليها نشاطها ومرحها .

طه الراوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net